المجال التصوري للنظرية الفويتيكية في التراث اللغوي العربي

The conceptual field of phonetic theory in the Arabic linguistic heritage

د. إسماعيل رقيق[1]*

جامعة أحمد زبانة بغليزان(الجزائر)، **ismailreguieg90@gmail.com**

تاريخ الاستلام: 2021/11/09 تاريخ القبول: 2022/01/13 تاريخ النشر: 2022/06/05

ملخص:

تروم حيثيات هذا المقال استجلاء جملة الإرهاصات الأولى للنظرية الفونتيكية في التراث اللغوي العربي، الذي وجّه العرب له آنذاك اهتمامهم – دراسة وتمحيصا – لجلّ التمظهرات التركيبية والصوتية والدلالية التي لا مست الدرس اللغوي، في حدود صيانة القرآن الكريم من اللحن اللغوي.

كلمات مفتاحية: النظرية؛ الفونيتيك؛ المخرج؛ اللغة؛ الصوت؛ الصفة.

Abstract:

This article aims to expose all the first clues of phonetic theory in the Arabic linguistic heritage, to which the Arabs of the time paid their attention by studying and examining all the structural, phonetic and semantic morphologies that affected the language lesson, within the limits of preserving the holy quran from linguistic errors.

Keywords: theory; phonetics; output; language; phoneme ; trait .

1. مقدمة:

تعالق المجال التصوري لجملة الحقول اللغوية في التراث العربي القديم، قصد صون القرآن الكريم من اللحن، الذي هدد السياق الدلالي الذي يؤدّيه النسق التركيبي القرآني، وعليه انصبّ اهتمام العرب منذ

بزوغ فجر الإسلام بالإحاطة بمختلف التمظهرات التركيبية والصرفية والصوتية للغة العربية، تحت وصاية مسعًى تروم حيثياته صيانة القرآن الكريم والحفاظ عليه من اللحن اللغوي.

2. الإرهاصات الأولى للدرس الصوتي عند أبي الأسود الدؤلي

يرتدّ السياق التاريخي لبوادر الانبثاقة الأولى للملامح التمهيدية التي عنيت بالدراسة اللغوية إلى تلك الفترة التي حدث فيها الاختلاط بين اللسان العربي بالأعجمي، بحكم اتساع رقعة الدولة الإسلامية، ودخول الأعاجم إلى الإسلام، مما أدّى إلى المساس بالنسق الخطابي للعرب وإحداث طفرة حوّلت مظهر صوتيا إلى حدث دخيل قلب موازين السليقة عندهم. وفي هذا الصدد يقول الزبيدي : " لم تزل العرب تنطق على سجيّتها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان فدخل الناس فيه أفواجا، وأقبلوا عليه أرسالا، واجتمعت الألسنة المتفرقة واللغات المختلفة ففشا الفساد في اللغة العربية" (الزبيدي، 1984، صفحة 11).

وقد تجلّت بوادر اللّحن في السياق القرآني مع ذلك الأعرابي " الذي قدِم في خلافة أمير المؤمنين عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه فقال: " من يقرئني شيئا ممّا أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، فأقرأه رجل سورة براءة، فقال: " أنّ الله بريء منَ المشركين ورسولِه " (سورة التوبة، آية 03)، بالجرّ، فقال الأعرابي أوَ قد برئ الله من رسولِه؟ إن يكن الله برئ من رسولِه فأنا أبرأ منُه " (اللغوي، 2002، صفحة 19).

والملاحظ من خلال هذه الحادثة المأثورة، أن هذا الأعرابي كسر لام كلمة (رسولِه) بدلا من ضمّها ممّا حدث عنه تغيّر في منحى الدّلالة، وهو لحن صوتي مسّ أحد الحركات.

ولقد انجرّ عن هذه الواقعة الصوتية التي حوّل فيها الأعرابي مسار البنية التركيبية والدلالية لتلك الآية الكريمة، بعث حركة التدوين التي عُدّت منعطفا تاريخيا، أفضى إلى الانتقال بالثقافة اللسانية العربية من طبيعتها المعرفية الفطرية المتداولة، إلى حدث " التداول المعرفي المؤسّس على القواعد المضبوطة " (بوعناني، 2010، صفحة 05).

حيث " لم تكن عملية التدوين هاته، مجرد تسجيل أو تقييد فقط، بل مثلت استنفاذا مقصودا لكل إمكانيات البحث المتنوع والغني في شتى مجالات اللغة، بهدف الحفاظ عليها من الانحلال والانحراف اللذين مساها بفعل اللحن، وكذا تنويع مجالات اشتغالها خدمة للنص القرآني المقدس " (بوعناني، 2010، صفحة 05).

وعليه تتضح العلاقة القائمة بين المدونة التراثية من بدئية انبثاقها بالخطاب القرآني، ومقصدية الحفاظ عليها وصونها.

وممّا انمازت به هذه اللغة المعربة إلاّ لأنّ معانيها تتغيّر بتغيّر حركاتها، فكان الدّافع لدراسة الأصوات الحفاظ على كتاب الله من اللّحن والتحريف، ما نلمسه عند أبي الأسود الدّؤلي (67 هـ) في محاولة منه تعدّ بدئية أولى لانبثاق الدراسة الصوتية عند علماء اللغة حين جنّب القارئ الوقوع في خطإ غيَّر منحى الآية في دلالتها، والذي بدوره قد يُغيّر حكما من أحكام الله تضمّنتها الآية. فكان بهذا أبو الأسود الدؤلي السبّاق الأول في نقط المصحف الشريف عن طريق ما يعرف بالصوائت كونها عنصرا دلاليا يستقيم بها المعنى ويفسُد.

مستعينا في ذلك بآلة الشفاه في نقط المصحف وهو ما نجده في قوله لكاتبه: " إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضممت فمي فانقط النقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة نقطتين " (ابن النديم ، 1997، صفحة 63).

ويظهر جليا من خلال هذا النقط الذي وضعه أبو الأسود الدؤلي أنه لاحظ خروج هذه الحركات من الشفتين وما ينتج عنه من نوعية للصوت سمّاه المحدثون بالصائت، " ثم إنّ هذا الأساس في التنقيط عضوي فيزيولوجي يعتمده الدرس الصوتي الحديث "وهو بهذا يربط بين الحركة وهيئة الشفتين (المصري ، د.ت، صفحة 233).

واستنادا إلى ما سبق ذكره فإن البوادر الأولى لانبثاق الحقل الصوتي دراسة عند العرب تزامن إثر نقط المصحف رسما بالصوائت، وهو بهذا يُعدُّ العتبة الاستشرافية التي تصلّب بها العلماء في هذا المجال قصدا منهم الحفاظ على لغة القرآن الكريم وأصوات العربية كونهما يتّصلان اتّصالا كبيرا بالحقل الصوتي.

3. المسار التأسيسي للدراسات الصوتية مع الخليل بن أحمد الفراهيدي

ثم ما لبث الأمر حتى بزغ نجم آخر شكّل مجهوده نقطة تحوّل في مسار الدرس الصوتي العربي، إذ " يعدّ الخليل بن أحمد الفراهيدي (175 هـ) أقدم العلماء العرب في وضع الهجائية الصوتية العربية " (بشر، 2000، صفحة 84) ، راسما بذلك أسسا تمثلت في وضع رموز للحركات الإعرابية فـ" الفتحة وضع لها رمزا هو ألف صغيرة فوق الحرف، والكسرة وضع لها رمزا هو ياء صغيرة تحت الحرف، والضمة وضع لها رمزا هو واو صغيرة بين يدي الحرف، ثم طوّر هذه العلامات التي بين أيدينا وهي الفتحة (–) والكسرة (–) والضمة (–)، وذلك للتفريق بينهما وبين نقط الإعجام " (محمد قناوي، 2008، صفحة 11).

تتجلى حيثيات الدس اللغوي لدى الخليل بن أحمد الفراهيدي، في شقين أحدهما ملمح تمهيدي، والثاني ملمح تأسيسي، والسبب في ذلك يعود للعامل الثقافي الذي واكبه الخليل بن أحمد الفراهيدي، حيث عايش الخليل فيه مرحلة انتقال العرب من الثقافة الشفوية إلى الثقافة البصرية، التي حاوطت عصر التدوين، ومن خلال هذا قدّم الخليل بن أحمد الفراهيدي " قراءة عالم عاصر مرحلة الانتقال من الشفوية إلى الكتابة " (العمري، 1999، صفحة 170).

وعلى هذا المنحى اخترع الخليل علامات الضبط والتي لازالت تستعمل إلى يومنا هذا " إذ أخذ من حروف المد صورها مصغرة للدلالة عليها، فالضمة واو صغيرة في أعلى الحرف لئلا تلتبس بالواو المكتوبة، والكسرة ياء متصلة تحت الحرف، والفتحة ألف مبطوحة فوقه " (ضيف ، 1968، صفحة 33).

تجلّت براعة الخليل في ابتكار الهمزة ووضعها على شكل رأس عين صغيرة (ء) وميّزها عن الألف، بدائرة صغيرة تمثل علامة السكون، وميّز الحرف المضعّف بوضع سين صغيرة فوقها، وميّز بين همزة القطع وهمزة الوصل وفي هذا الصدد يقول السيوطي : " أوّل من وضع الهمزة والتشديد والروم والإشمام الخليلُ " (السيوطي، د.ت، صفحة 171)، على أن ظاهرة الروم صوتية يكون إدراكها بالسمع عكس الإشمام الذي يدرك بالعين.

واستمرار لهذا المظهر الإبداعي عند الخليل من خلال الأبجدية الصوتية التي وضعها وفقا لترتيب مخارج الأصوات بدءا من الأعمق في الجهاز النطقي وصولا إلى مخرج الشفتين، وقد اصطلح عليها بصفاتها المخرجية نسبة إلى مواضع انطلاقها قائلا : " العين والحاء والهاء والخاء والغين حلقية، نسبة إلى الحلق والقاف والكاف لهويتان نسبة إلى اللهاة، وهكذا يستطرد في تصنيفه للأصوات حسب مخارجها حتى ينهيها بقوله والياء والواو والألف والهمزة هوائية نسبة إلى الهواء في مجراه " (الفراهيدي، 1988، صفحة 58).

وجاء تقسيمه للأصوات إلى نوعين حروف وحركات، حروف صحاح وحروف علة مستثنيا الهمزة قائلا : "في العربية تسعة وعشرون حرفا صحاحا لها أحياز ومدارج وأربعة هوائية وهي : الياء والواو والألف اللينة والهمزة، لأنها هاوية في الهواء لا يتعلق بها شيء " (الفراهيدي، 1988، صفحة 57).

على أن هذا الإنجاز لم يتأت عبثا بل إن الخليل قد حقق هذا كلّه مستندا على منهج قائم صلب عن طريق الملاحظة والتجريب ليصل إلى إدراك مخارج الأصوات " وإنما كان الخليل ذواقا إياها (يقصد الأصوات) أنه كان يفتح فاه بالألف، ثم يظهر الحرف، نحو اَب، اَت، اَح،اَع ،اَغ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق " (الفراهيدي، 1988، صفحة 47)، فكان بذلك ذواقا للحروف بهذه الطريقة الذكية التي مكّنته من تحديد الأصوات والوقوف على مخارجها.

ثم يعرض الخليل في دراسته للأصوات وصفا للجهاز الصوتي عن طريق الحلق والفم وصولا إلى الشفتين ليسير في استنباط مخارج أصوات العربية بين المتكئ المخبري والمنهج الاستقرائي ابتداء من أقصى الحلق، ثم الحلق، مرورا بالفم والأسنان انتهاء إلى الشفتين وهذا إن دلّ فإنّما " يدلّ على ذوق حسي فريد وصبر وقدرة على الاستنتاج حتى توصل إلى ما توصل إليه إبداعا وابتكارا، دون الاستعانة بأي جهاز علمي، إذ لا جهاز أنذاك، وهو ما لم يثبت العلم التشريحي الحديث بكل أجهزته الدقيقة ومختبراته الضخمة خلافا له، فيما يبدو يسيرا " (عطية، 1983، صفحة 11).

ثم إن الخليل قد انزاح عن قوانين العربية محدثا مفارقة جديدة دفعته للابتعاد عن الترتيب الألفبائي إلى الترتيب الصوتي على أساس المخارج، فكان ترتيبه لها كالآتي :

ع ح هـ / خ غ ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ث ذ / ز ل ن ف / ب م / و ا ي/ ء . (الفراهيدي، 1988، صفحة 48)

ولم يقف عند هذا الحد فقط، بل بيّن خصائص وصفات هذه الأصوات، ليتوصّل إلى " أن بعض الحروف أسهل على اللسان في نطقها، وهي ستة أحرف، ثلاثة منها مخرجها اللسان، وهو طرفه، وهي الراء واللام والنون، وثلاثة أخرى مخرجها الشفتان، وهي الفاء والباء والميم، وكان يرى أن هذه الحروف هي أسهل الحروف وأيسرها لمرونة عضلة اللسان والشفتين " (المخزومي ، 1986، صفحة 118).

كما تطرّق الخليل إلى قضية انسجام الحروف وتآلفها وتجاورها محاولا بيان علاقتها داخل التركيب إذ يقول، " إن العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجيهما، إلا أن يشتق فعل جمع بين كلمتين مثل (حيّ على) كقول الشاعر :

ألا ربّ طيف بات منك معانقي *** إلى أن دعا داعي الفلاح فحيعلا.

(الفراهيدي، 1988، صفحة 60)

4. المسار التأسيسي للدراسة الصوتية مع سيبويه

ثم ما فتئت هذه الدراسة تنتقل إلى تلامذة الخليل وأولهم الرائد في النحو – سيبويه (ت 180 هـ) – فقد ضمّن كتابه بحقائق صوتية أكثر وضوحا ودقّة، فجعل بابا لدراسة الإدغام مستفتحا إيّاه بذكر عد الحروف العربية، ومهموسها، ومجهورها، وأصولها، وفروعها، إذ يقول في ذلك : " وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات، لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه، ومالا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه، وما تبدله استثقالا كما تدغم، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك " (سيبويه، 1982، صفحة 436ج4).

وقدّم سيبويه تفصيلا دقيقا وفيا في دراسة مخارج الأصوات وصفاتها فذكر ستة عشر مخرجا صوتيا وفصّل الحديث فيها مخالفا أستاذه الخليل في مسألة ترتيب الأصوات، مشيرا إلى كيفية حدوث الأصوات متطرقا إلى صفاتها من جهر وهمس وشدة ورخاوة، إذ يقول : " فالمجهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت، فهذه حال المجهورة في الحلق والفم، وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه، حتى جرى النفس معه " (سيبويه، 1982، صفحة

434ج4). ، ويقول أيضا : " ومن الحروف الشديد وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه، ومنها الرخوة، أجريت فيها الصوت إن شئت " (سيبويه، 1982، صفحة 435ج4).

وقد تحدث سيبويه عن مصطلح الحركة أثناء خوضه أسبار المعالجة النحوية والصرفية ومن أمثلة ذلك ما قاله في باب الإدغام : " فأحسن ما يكون الإدغام في الحرفين المتحركين ، وقوله أيضا " وكلما توالت الحركات أكثر كان الإدغام أحسن " (سيبويه، 1982، صفحة 576ج4) ، وهي عنده ثلاث : " الضمة ، الفتحة ، الكسرة " (سيبويه، 1982، صفحة 52ج1)

ولقد كان القرآن الكريم وقراءته المصدر الرئيس لسيبويه أثناء وضعه للقواعد والأصول، حيث حوى كتابه مئات الآيات القرآنية وضع بعضها على وجه من وجوه القراءات، فكان كتابه المرجع الأساسي في دراسة النحو وأصوله،

وجمع فيه من علوم العربية والأصوات اللغوية والضرورات الشعرية الكمّ الوافي حتى قال فيه أبو الطيب اللغوي: " هو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل، وألّف كتابه الذي سمّاه الناس قرآن النحو " (ضيف ، 1968، صفحة 60).

أمّا إذا عرّجنا الحديث عن موضوع الإدغام عنده في باب الأصوات يقول : " هذا باب عدد الحروف العربية، ومخارجها ومهموسها ومجهورها وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها، فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا: الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والكاف، والقاف، والضاد، والجيم، والشين، والياء، واللام، والراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والباء، واليم، والواو "" (سيبويه، 1982، صفحة 431/ج4).

وأمّا إذا انتقلنا إلى مخارج الحروف عند سيبويه فهي تسعة عشر مخرجا، خالف فيها أستاذه في مخرج الهمزة حيث وضع : " الهمزة والألف في مخرج أقصى الحلق وفي وسطه الغين والحاء " (سيبويه، 1982، صفحة 433ج4) ، والتي جعلها الخليل أقصى الحلق في حرفي العين والحاء، والهمزة مع الواو والألف والياء.

ثم يتناول صفات الأصوات من " جهر وهمس وشدّة ورخاوة ومنحرفة، ومكررة ولينة وهاوية ومطبقة ومنفتحة " (سيبويه، 1982، الصفحات 435-436ج4) .

ويضيف قائلا " إنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه، ومالا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه، وما تبدله استثقالا لما تدغم، ما تخفيه وهو بزنة المتحرك" (سيبويه، 1982، صفحة 436ج4) .

ومع كل هذه الجهود عند علماء اللغة وتناثرها في مصادر مختلفة لم يظهر مصدر مستقل يجمع شتات هذه القضايا الصوتية في مصنّف واحد إلا في مسيرة متأخرة من البحث اللغوي وذلك عند ابن جنّي في كتابه " سر صناعة الإعراب " وابن سينا في رسالته الشهيرة " أسباب حدوث الحروف ".

5. الجهود التأسيسية للدراسة الصوتية عند ابن جني

اعتمد ابن جني منهجا يقوم على الوصف الدقيق والشرح والتعليل فتطرق إلى وصف مخارج الحروف بطريقة تشريحية دقيقة متعرضا إلى صفاتها العامة والتغيرات التي تعترض الصوت من إعلال وإبدال وقلب وإدغام ونقل وحذف، فأفرد بمُؤلّف خاصّ، أسماه " سر صناعة الإعراب "، فربط بين الصوت وطريقة إصداره بفن الموسيقى قائلا : " أردنا بهذا التمثيل الإصابة والتقريب، وإن لم يكن هذا الفن ممّا لنا ولا لهذا الكتاب به تعلّق، ولكن هذا القبيل أعني علم الأصوات والحروف، له تعلق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنغم " (ابن جني أ.، 2005، صفحة 09).

ولابن جنّي إضافات علمية قيمة في الدرس الصوتي ومن ذلك تشبيهه جهاز النطق عند الإنسان بآلة الناي، إذ يقول : " شبّه بعضهم الحلق والفم بالناي، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلا أملس ساذجا، كما يجري الصوت في الألف غفلا بغير صنعة، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة، وراوح بين علمه، اختلفت الأصوات، وسمع لكل حرف منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة ونظير ذلك أيضا العود " (ابن جني أ.، 2005، صفحة 89ج1).

وتجدر الإشارة هنا إلى علاقة المصاهرة بين الصوت والموسيقى، وإنما اهتدى إلى هذه النقطة بفعل ذكائه، ثم نجده يصور من جهة أخرى علاقة الصوت بالدّلالة كقولهم الخضم والقضم، فالخضم لأكل الرطب، والقضم لليابس، وفي هذا يقول : " فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع..وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف خَضَمَ وقَضَمَ فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ،

والقضم لليابس، نحو قضمت لليابس، حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث " (ابن جني أ.، الخصائص، 1990، الصفحات ج2 157-164).

إضافة إلى هذا عقد ابن جني بابا للتغيرات الصوتية التي تحدث للكلمة محددا عوامل ذلك، ومن بين هذه التغيرات الإدغام حيث يقول فيه " بأنه تقريب صوت من صوت وقسّمه إلى الإدغام الأكبر والإدغام الأصغر، وبيّن أن الثاني هو تقريب الحرف من الحرف، وأدرج تحته أنواعا من التغيير كالقلب والإخفاء والإبدال مثل اصبّر، وقطّع، واطّره". (ابن جني أ.، الخصائص، 1990، صفحة ج2 165).

ويضيف إلى ذلك، وصف مخارج الحروف وذكر فروعها، فأفرد بابا في كتابه تطرّق فيه إلى أسماء الحروف وأجناسها ومخارجها، ومدارجها، وفروعها المستحسنة والمستقبحة، وحصر مخارج الحروف في ستة عشر مخرجا ناظرا إلى موقعها في أجهزة النطق وصوتيتها بكل دقة وضبط وذكاء، فيقول :

" واعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر، ثلاثة منها في الحلق :

1- فأولها من أسفله وأقصاه، مخرج الهمزة والألف والهاء.

2- ومن وسط الحلق : مخرج العين والحاء.

3- ومما فوق ذلك من أول الفم، مخرج الغين والخاء.

4- ومما فوق ذلك من أقصى اللسان، مخرج القاف.

5- ومن أسفل ذلك وأدنى إلى مقدم الفم، مخرج الكاف.

6- ومن وسط اللسان، بينه وبين وسط الحنك الأعلى : مخرج الجيم والشين والياء.

7- ومن أول حافة اللسان وما يليها : مخرج الضاد.

8- ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام.

9- ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا : مخرج النون.

10- ومن مخرج النون، غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام : مخرج الراء.

11- ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا : مخرج الطاء والدال والتاء.

12- ومما بين الثنايا وطرف اللسان : مخرج الصاد والزاي والسين.

13- مما بين اللسان وأطراف الثنايا : مخرج الظاء والذال والثاء.

14- ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى، مخرج الفاء.

15- ومما بين الشفتين، مخرج الباء والميم والواو.

16- ومن الخياشيم، مخرج النون الخفيفة، ويقال الخفيفة أي الساكنة، فذلك ستة عشر مخرجا".

(ابن جني ، 2008، الصفحات ج1 60-61)

ثم يأتي ابن جني إلى مسألة الحركات العربية ويضفي إليها مبينا أنواعها وكمياتها الصوتية وتطورها فقال : " اعلم أن الحركات أبعاض حروف المدّ واللين وهي الألف والياء والواو فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث وهي الفتحة والكسرة والضمة فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة...ألا ترى أن الألف والياء والواو واللواني هنّ حروف توام كوامل، قد تجدهن في بعض الأحوال أطول وأتم منهن في بعض، وذلك قولك يخاف ويسير ويقوم فتجد فيهن امتدادا واستطالة ما، فإذا أوقعت بعدهنّ الهمزة أو الحرف المدغم ازددن طولا وامتدادا وذلك نحو يشاء...ويسوء...ويجيء...، وتقول مع الإدغام شابّة...ويطيب بكر، وتموّد الثوب...أفلا ترى إلى زيادة المدّ فيهن بوقوع الهمزة والمدغم بعدهنّ، وهنّ في كلا الموضعين يسمين حروفا كوامل " (ابن جني ، 2008، الصفحات ج1 19-20).

وتعقيبا لما سبق ذكره حول الحركات العربية التي هي أبعاض لهذه الحروف، فإن ابن جني قد أدرك طبيعة هذه الحركات العربية فبيّن القصيرة في ثلاث: الفتحة والضمة والكسرة ، وأشار أنها تطورت ونتجت عن الألف والضمة والياء، ولم ينحصر فقط على هذه النقطة بل نجد في كتابه (الخصائص) أيضا تحدّثه عن أثر النغم الصوتي في التعبير والدّلالة، فقال: " وأنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأملته، وذلك أن تكون في مدح الإنسان والثناء عليه فتقول : " كان والله رجلا " فتزيد في قوة اللفظ بـــ " الله " هذه الكلمة،

وتتمكّن من تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما ونحو ذلك" (ابن جني أ.، 1990، صفحة 551).

يقول براجشتراسر (Bergastrasser) (1994)" لم يسبق الغربيين في هذا العلم، إلا قومان من أقوام الشرق، وهما : أهل الهند، والعرب " (برجشتراسر، 1994، صفحة 11).

ويقول فيرث : " إن علم الأصوات قديما نشأ في خدمة لغتين مقدستين، هما السنسكريتية، والعربية". (أحمد المختار، 1988، صفحة 114)

4. خاتمة:

وتماشيا مع أسلفنا ذكره، فإننا نخلصُ إلى أنّ الإرهاصات الأولى للنظرية الفونيتيكية في التراث اللغوي العربي، قامت على هامش صيانة الخطاب القرآني من اللحن الذي كان يهدّد العنصر الدلالي الذي يحمله نسق القرآن التركيبي، وعلى هذا الأساس من الأمر، وجّه العرب اهتمامهم بالدراسة والتمحيص لجلّ التشكلات الصوتية والصرفية والدلالية التي جانَبَت الدرس اللغوي، بغية صيانة القرآن الكريم من اللحن اللغوي.

5[1]. قائمة المراجع:

القرآن الكريم

1. ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق، (1997)، الفهرست، تر: يوسف علي طويل وأحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط).
2. ابن جني، (2008)، سر صناعة الإعراب، تح محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط2.
3. ابن جني، أبو الفتح عثمان، (1990)، الخصائص، تح محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط4.

1

4. ابن جني، أبو الفتح عثمان، (2005)، سر صناعة الإعراب، تح محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2.
5. برجشتراسر، (1994)، التطور النحوي للغة العربية، تر : رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2.
6. بشر، كمال، (2000)، علم اللغة العام، دار غريب للطباعة والنشر، (د ط).
7. بوعناني، مصطفى، (2010)، في الصوتيات العربية والغربية، أبعاد التصنيف الفونيتيقي ونماذج التنظير الفونولوجي، علم الكتب الحديث، إربد، الأردن.
8. الزبيدي، محمد بن الحسن أبو بكر، (1984)، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط3.
9. سيبويه، أبي بشر عمرو عثمان بن قنبر، (1982)، الكتاب، تح عبد السلام محمد هارون،، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ط2.
10. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، الحلبي، القاهرة، ط3.
11. ضيف، شوقي، (1968)، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط7.
12. العطية، إبراهيم ، (1983)، في البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ للنشر، بغداد، العراق.
13. عطية، خليل إبراهيم، (1983)، البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ للنشر، بغداد.
14. عمر، أحمد مختار، (1988)، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط6.
15. العمري، محمد، (1999)، تحليل الخطاب الشعري، البنية الصوتية في الشعر، الكثافة – الفضاء – التفاعل، الدار العالمية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط01.
16. الفراهيدي، الخليل بن أحمد ، (1988)، العين، تح د. مهدي المخزومي، ط1.

17. اللغوي، أبو الطيب، بن علي، عبد الواحد، (2002)، مراتب النحويين، تح: أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، (دط).
18. محمد قناوي، صلاح الدين، (2008)، التفكير الصوتي عند العرب بين الأصالة والتحديث، دار الفكر، دمشق، سوريا، (دط).
19. المخزومي، مهدي، (1986)، الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه، دار الرائد العربي، (دط).
20. المصري، عبد الفتاح، الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات اللغوية العربية المعاصرة، مجلة التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، سوريا، العدد: 13-14.

قائمة المراجع:

ابن جني . (2008). سر صناعة الإعراب (الإصدار 2). (محمد حسن إسماعيل ، المحرر) بيروت ، لبنان: دار الكتب العلمية.

أبو الطيب بن علي عبد الواحد اللغوي. (2002). مراتب النحويين. (أبو الفضل إبراهيم ، المحرر) صيدا ، بيروت: المكتبة العصرية.

أبو الفتح عثمان ابن جني . (1990). الخصائص (الإصدار 2). (محمد علي النجار، المحرر) بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

أبو الفتح عثمان ابن جني. (2005). سر صناعة الإعراب (الإصدار 2). (محمد حسن إسماعيل ، المحرر) بيروت ، لبنان: دار الكتب العلمية.

أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق ابن النديم . (1997). الفهرست (الإصدار د.ط). (يوسف علي طويل، و أحمد شمس الدين ، المترجمون) بيروت ، لبنان: دار الكتب العلمية.

ابي بشر عمرو عثمان بن قنبر سيبويه. (1982). الكتاب (الإصدار 2، المجلد 4). (عبد السلام محمد هارون، المحرر) الرياض، دار الرفاعي، القاهرة: مكتبة الخانجي.

السيوطي. (د.ت). الإتقان في علوم الفرآن (الإصدار 03). القاهرة: الحلبي.

برجشتراسر. (1994). التطور النحوي للغة العربية (الإصدار 2). (رمضان عبد التواب، المترجمون) القاهرة ، مصر: مكتبة الخانجي.

خليل إبراهيم عطية. (1983). البحث الصوتي عند العرب. بغداد: دار الجاحظ للنشر.

خليل بن أحمد الفراهيدي. (1988). العين (الإصدار 01). (د. مهدي المخزومي ، المحرر)

سورة التوبة. (بلا تاريخ).

شوقي ضيف . (1968). المدارس النحوية (الإصدار 7). القاهرة: دار المعارف.

صلاح الدين محمد قناوي. (2008). التفكير الصوتي عند العرب بين الأصالة والتحديث . دمشق ، سوريا : دار الفكر .

عبد الفتاح المصري . (د.ت). الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة. مجلة التراث العربي،منشورات اتحاد الكتاب العربي، 13-14.

عمر أحمد المختار. (1988). البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر (الإصدار 6). مصر: عالم الكتب.

كمال بشر. (2000). علم اللغة العام. القاهرة ، جمهورية مصر العربية: دار غريب للطباعة والنشر.

محمد العمري. (1999). تحليل الخطاب الشعري، البنية الصوتية في الشعر الكثافة –الفضاء –التفاعل (الإصدار 01). الدار البيضاء ، المغرب: الدار العالمية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع.

محمد بن الحسن أبو بكر الزبيدي. (1984). طبقات النحويين واللغويين (الإصدار 3). (محمد أبو الفضل ابراهيم، المحرر) القاهرة: دار المعارف.

مصطفى بوعناني. (2010). في الصوتيات العربية والغربية ، أبعاد التصنيف الفونيتيقي ونماذج التنظير الفونولوجي. إربد، الأردن: علم الكتب الحديث.

مهدي المخزومي . (1986). الخليل بن أحمد الفراهيدي :أعماله ومنهجه . دار الرائد العربي .